هيجل والعقـــل التاريخـــي

أ. خيرية المهـدى اللافـــي ـ كلية التربية- جنزور ـ جامعة طرابلس

المُقدّمـــة:

يُعـد هيجل من أهـــم الفلاســـفة الألمان تأثيراً في المذاهب الفلســـفية الحديثـــة، على الرغم من أن فلسفته مليئة بالتناقضات ، لكن لا أحد يستطيع إنكار أهميتها ، لهذا حاولت الباحثة ، بيان النظرية الهيجلية ، والأساس الذي ارتكزت عليه وهو العقل ولماذا سميت بالعقل التاريخي ، ومدى ارتباطها بفلســـفة وتفسير التاريـــخ ، وما إذا كانت واقعية قابلة للتطبيق على أرض الواقع ، وتحليل التاريخ وحركته المستمرة من خلالها ، وتبيان بعض من آرائه ومواقفه ، تجاه الإسلام، وهل كان منصفاً وموضوعياً في تناوله للإسلام ، أم كان الآخر الذي ينظر للإسلام برؤية فيها من التعصب للمسيحية الشيء الكثير؛ لأنه ابن بيئته ، أم الاثنين معاً. كما عـرجت الباحثة على ردود الأفعال والآراء التي طرحها الفلاسفة والمؤرخين المسلمين من خلال دراساتهم المُكثفة لهذه النظرية والشخصية في آن معاً ، ومن خلال هذا المنطلق، ألا وهو اهتمام هـــؤلاء الفلاسفة بالنظرية ، طرأ تســاؤل في ذهن الباحثة مفاده : هل يمكن تطبيق النظرية من منظور إسلامي لتفسير التاريخ؟

وقد حاولت الباحثة من خلال دراستها المحدودة لهذا الموضوع ، الغوص في التناقضات ، وكذلك التجليات التي انتجها هذا العقل. وتتســـأل الباحثة من خـــلال عرضها للتساؤلات ، والإشكالية التي مفادها: هل هذه النظرية التي قدّمها هيجل، تتمحور حول التوفيق بين العقل والدين، قابلة للتطبيق ، ويُمكن أن يُعتد بها في تفسير الأحداث التاريخية؟.. في خضم تفسيراته المتناقضة التي كانت تُشكِل جزءًا من شخصيته.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً : تُعدُ هذه النظرية ضمن المتطلبات الأساسية لمادة فلسفة التاريخ وتطور الفكر التاريخي في دراستنا الحالية (الدكتوراه).

ثانياً: أن هيجل يُمثل شخصية جدلية فلسفية فريدة أثر بنظريته الفلسفية على الكثير من الفلاسفة الذين اتخذوا نظرية العقل التاريخي احدى أهم النظريات المفسرة للتاريخ.

ثالثاً: إن هذه النظرية اتُخِذت عند الفلاسفة العرب كمرجعية، منهل كانت متوافقة مع

التفسير الإسلامي للتاريخ ؟ وهو ما سيتم الإشارة إليه في هذه الورقة البحثية.

رابعاً: توفر بعض المراجع الدراسية الخاصة بالورقة البحثية، التي تُمثل أساس القيام بأي دراسة بحثية.

أهداف الدراســـــة :

تهدف الدراسة إلى الوصول إلى رؤية واضحة، وفهم عميق، حول هذا الموضوع، الذي تم تناوله بالبحث، ولكنه لا زال يكتسب أهمية في الدراسات العربية والإسلامية.

فروض البحث:

1- يوجد توافق بين العقل والدين في نظرية العقل التاريخي عند هيجل.

2- وجود نسبية في قابلية النظرية للتطبيق على أرض الواقع.

3- يمكن قياس النظرية على ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ.

4- هناك رؤية موضوعية عند هيجل لمفهوم الإسلام.

تقسيمات الدراســـــــة:

المبحث الأول : يتمثل في الجانب المنهجي ، والمبحث الثاني : العقل التاريخي عند هيجل ، والمبحث الثالث : التوفيق بين العقل والدين في نظرية العقل التاريخي ، والمبحث الرابع: النسبية في قابلية النظرية للتطبيق على أرض الواقع ، والمبحث الخامس: قياس النظرية على ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ ، والمبحث السادس: الرؤية الموضوعية لمفهوم الإسلام عند هيجل.

المبحث الأول ـ الجانب المنهجي جورج ويلهلم فردريك هيجل، 1770 – 1831 م:

ولد بمدينة شتو تجارت الألمانية ، يعتبر أحد أكثر الفلاسفة الألمان تأثيراً في المذاهب الفلسفية الحديثة [1] ، وتأثرت شخصيته بدراسته والأحداث التي دارت حوله، ويُعد شخصية متناقضة ؛ كانت نِتاجاً للأحداث التي عاشها ، أو عاصرها، ومنها أنه تربى تربية مسيحية ، ودرس في مدارس لاهوتية، وتعلم اللاتينية ، وعاصر أفكار التنوير، الذي يدعو إلى التفكير العقلي ، ضد العاطفة، وضد الكنيسة، وهيمنة رجال الدين، كما عايش دخول نابليون بونابرت مدينة 1806 م برلين، وما نتج عن هذا الاحتلال، وقبل ذلك تأثر بأحداث الثورة الفرنسية ...، كل هذه الأحداث جعلته يعيش صراعات متناقضة ، تمثلت في كتاباته ومحاولاته مِنها التوفيق بين العقل والدين[2].

المبحث الثاني ـ العقل التاريخي عند هيجل:

يشـــــير إلى أن إدراك العقل في التاريخ، هو المسوغ للإيمان بالله [3] ، أي : أن المادية والديالكتيك (الجدل)، الذي يستحث العقل ، هما الأساس في فلسفة هيجل العقلية، وتوصل لمبتغى واحد، وهو الإيمان بالله ، لأنها في النهاية توصل/ أو تصل إلى هذه الغاية، التي ينطلق منها أصل الأشياء ، على الرغم من إقرار، أن التاريخ يكشف عن قسوة الطبيعة البشرية وساديتها، وهذا ما لا يراه مبرراً، إذا ما استخدمت المثالية ، المتمثلة في الرجوع إلى مبدأ الأخلاق وسيادة القانون، ويحث (على إدراك العناصر الإيجابية التي يختفى داخلها الشيء السلبي، كشيء تابع ومهزوم)[4] . ويصل من خلال الإدراك الواعي بالعقل إلى نتيجة مفادها : أن (الغرض النهائي للعالم يتحقق تدريجياً من خلال الأحداث التاريخية العرضية التي تؤدي إلى تحول وتغيير إيجابين) [5]، أي : أن الأفعال البشرية المتبصرة العقلانية، التي تحث على الإيجابي وتتعامل معه كعامل خير للبشرية، هي التي تُحدِث هذا التحول للأحداث التاريخية، وبهذا المعنى فإن هيجل يقدم رؤية، مفادها أن المجتمع البشري يتحرك حركة تاريخية ديناميكية،(تصبح بواسطتها قدرتنا العقلية أكثر تهذباً وصقلاً، وعلى الرغم من ذلك فهناك شر موجود في العالم، بيد أن العقل ينتصر في نهاية المطاف)[6].

وبالنظر إلى هذه النظرية (العقل التاريخي) فإنها من وجهة نظر مؤسسها (هيجل) تعتمد على فكرتين أساسيتين هما:

1- المثاليـــــــــة: ترتكز المثالية الهيجلية على فكرة مفادها، أننا إذا أردنا الوصول إلى الحقيقة، وجب علينا أن نتجاوز الوقائع الظرفية لنصعد إلى مرحلة أعلى[7] ، وهي فكرة سهلة في ظاهرها، عميقة في معناها، تقول، أن الأشياء الموجودة في المعالم الخارجي موجودات لا متناهية، فالروح كانت في سعي دائم للوصول إلى غايتها، فهي لا تقنع بالمحدود والمتناهي، فكل مرحلة تُعد جسراً إلى مرحلة أعلى، والطبيعة المثالية الهيجلية تجعل من الروح والعقل أساس ماهية الفكر الذي يتوقف على الوعي، وتجعل من الفلسفة خالقة للقيم التي توجهها أدوات الجدل، فكل نسق فلسفي يحمل بناء فكري يعبر عن تطور ذات الإنسان ليعلن عن ولادة المبادئ الفلسفية[8]

2ـ الديالكتيك :هو الأسلوب الجدلي الذي استخدمه (هيجل) في تفسير التاريخ، وهو (عملية تناقض بين الأطراف المتضادة)[9] ، التي تعتمد على مادة الموضوع المبحوث، وهي في الوقت نفسه تُمثل الوعي، الذي يؤدي إلى ارتقاء فكري، وأراء أقل

تعقيداً وتطوراً،... وفي السياق ذاته، فقد ((اعتقد هيجل بحتمية توليد العقل للتناقضات)[10] ، والاصطدامات التي تحقق الجدلية، في التاريخ، وبهذه الجدلية تتقدم الإنسانية.

هذا وينطلق هيجل من اعتقاد راسخ، ألا وهو ضرورة شمولية الفكر البشري ارتباطه بالعقل ، ومن وجهة نظر الباحثة فإن هذا الأمر ليس في حاجة إلى برهنة لأنه جوهـــري في الإنسان، ومن العناصر الأساسية في ماهيته، التي تتطور عبر العصور بطريقة جدلية، واعتباراً لهذه الضرورة العقلية ولا شيء خارج العقل يوجد أو يتطور، أو تقوم له قائمة، ما لم يكن بدافع العقل، أو مؤسساً عليه [11] ، كما اعتبر التاريخ عملية ديالكتيكية وروحية في آنٍ معاً، وأن الفكر أساس كل حقيقة انطلاقاً من مقولته الشهيرة، (كل ما هو فكري واقعي وكل ما هو فكري)[12].

يـــرى أن التاريخ الذي يُشرِف على الأحداث من وجهة نظر كُلية غير خاضعة للزمن، وهي وجهة نظر عقلية، لأن العقل في نظره هو جوهر التاريخ، والعقل هو الذي يحكم العالم، والتاريخ بالتالي هو التاريخ الفلسفي بالنسبة لـــ:هيجل وليس التاريخ الذي يؤرخ للأحداث ويُسجلها [13] ، تقوم فلسفة هيجل العقلية، على دراسة عقل الإنسان في ظواهره المختلفة، بما يحويه من إحساس، تذكُر، شـــعور، ...، كما درس العقل الإنساني من خلال دراسته للمجتمع والدولة والالسنة والدين، ...، وهذا يُعد تاريخاً، برأيي، لأنه وبالرغم من إصراره على دراسة التاريخ ككل وليس جزء، إلا أنه درس تاريخ الحضارات المختلفة.

بعد هذا الطرح، يمكننا أن نُدرج في هذا السياق، أن غاية المثالية عند هيجل تتمثل في ضرورة تعقيل الواقع، وجعله معقولاً، ويرى أن الفكرة هي الوحدة المُطلقة للتصور والموضوعية، والفكرة هي الحياة، هي الخير في المعارف والأفعال، وهي المعرفة الكلية المطلقة التي يصل إليها الفيلسوف [14]، وحسب رأى الباحثة ، لا يوجد شيء يُسمى مُطلق، إلا الإله ، فالمعرفة غير مُطلقة ، خاصة عند الفيلسوف ، فهو يبحث ويُفسِر المجرد وغير المجرد، المحسوس وغير المحسوس ، لكنها تبقى أفكار ونظريات وأغلب الأوقات لا يُمكن أن يطلق عليها مسلمات، أراد الوصول إلى المُطلق في العقل، الخير، المبادئ، الأخلاق، لكنه ذاتياً لم يصل إليها، حسب الرأي المتواضع للباحث، من خلال بعض القراءات، لكن هذا لا يمنع أن نظريته حول السمو العقلي والروحي، مسمى لكثير

من الفلاسفة والمفكرين الذين يحاولون الوصول إليها، لكنها مُطلق لا يمكن بأي حال من الأحوال الوقوف عنده.

المبحث الثالث ـ التوفيق بين العقل والدين في نظرية العقل التاريخي عند هيجل.

إن الدين في نظر هيجل لا يتأسس على العقل وحده، بل هو شعور ووعي بالمطلق، الذي هو الله، مبدأ الحركة ونهايتها، والوظيفة الحقيقية للدين هي تحريك الإرادة والحث على العمل، والإرادة والعمل تتحقق بالعقل والتفكير السليم، وهذا يوصلنا إلى نتيجة مفادها، أن العقل مساوياً للوعي، حسب الفكرة الأساسية لنظرية هيجل ، ويحاول هيجل من خلال الفلسفة، التوفيق بين العقل والدين، والإجابة من خلالها على الأسئلة الكبرى، التي يقف أمامها العقل والمنطق، فالدين يُعالج مشاعر سلبية كالألم والتناقض ، وفي الوظائف الاجتماعية يلعب الدين دوراً محورياً في توجيه السلوك الاجتماعي عبر وضع أسس معيارية للأخلاق، ويضمن درجة أعلى من التبني والالتزام بالقوانين والتشريعات مقارنة بالأسس المنطقية والمصلحية [15] إذاً حولت فلسفة هيجل الدين إلى فكر ... ووحد بين العقل والوحي، ويذكر أن الفلسفة (لا تخلق الدين، لأنه موجود أساساً، وعلى الفلسفة إعادة معرفة الدين والتصالح معه لأنه حقيقي، وما هو حقيقي يكون عقلياً) [16]، وتعتبر فلسفة الدين عند هيجل هي أعلى شكل من أشكال العبادة الدينية، فيها الله، ليس كظاهرة ولكن كفكر، أي : يبدأ من الوجود (الله)، للوصول إلى المعرفة المطلقة عن طريق العقل المحض، وقد تحول الدين من نصوص مقدسة إلى فكر إنساني)[17].

وللتدليل على ذلك، فقد وضع هيجل أساسين أو مرتكزين للدين هما:

1ـ المرتكز التجريبي: يعني المعرفة الحسية والعاطفية، والتمثل الديني الذي يعني انتقال العاطفة من الذاتية إلى الموضوعية، أي التفكير العقلاني بوجود الله، كالتفكير في خلق العالم مثلاً.

2ـ المرتكز التأملي : هو وجود الإنسان بين عالمين، الروحي والواقعي، حسب التفسير الباحثة ، وكما يسميه هيجل النهائي واللانهائي.

يرى في الدّين القدرة على إبراز قيمة الحقوق التي يعلمها العقل ويُطبقُها، ويجب أن ينفذ الدين إلى روح الشعب وتقاليده، وأن يكون حاضراً في مؤسسات الدولة وممارسات المجتمع[18] ، لذلك لابد من تطبيق الدين على أرض الواقع في جميع مناحي الحياة،

ليصبح الدين مكملاً ومحفزاً للعقل، ويتم الدمج بين الذاتي والعقلاني، وبهذا يكون الباحث قد انجز المبحث الثالث.

المبحث الرابع ـ النسبية في قابلية النظرية للتطبيق على أرض الواقع.

ينطلق هيجل من فكرة مفادها، أن الدين هو الدولة، والدولة مُتمثلة في الدين، فالدولة هي الشكل العقلاني، الذي تتمثل فيه حقيقة الأشياء الثابتة، كوجود الله والأخلاق، والمبادئ والقوانين ، فهو يرى، أن الدولة هي تحقُق الشكل العقلاني للذات، وهي الروح الذي يمنح لنفسه الحقيقة من خلال عمل الله في العالم، لأنه قوة العقل المُتحققة بالفعل، لذا يجب تقديس الدولة واحترامها باعتبارها (إلهاً أرضياً)، وهنا يمكن القول أن الدولة تتمثل في تطبيق تعاليم الدين في جميع مناحي الحياة [19] .

الدولـــة هي فكرة الإله على الأرض، ومن ثم فإننا نجد فيها هدف التاريخ وموضوعه، في شكل أكثر تحديداً، وتنقل إرادة الله، إلى الأفــراد، وأن القيمة التي يملكها الكائن البشري، وكل ما لديه من حقيقة وروحية، لا يملكها إلا من خلال الدولة، لأن حقيقته الروحية تنحصر في أن ماهية الإنسان الخاصة وهي العقل موجودة لديه موضوعاً، أي واقعاً، وعلى هذا (النحو يُصبح الإنسان واعياً كاملاً[20] ، ويشارك وحده في الأخلاق الذاتية، كما يشارك في حياة اجتماعية وسياسية وأخلاقية وعادلة، ذلك لأن فيها وحدة الإرادتين الكلية والذاتية، والكل إنما يوجد في الدولة وقوانينها وتنظيماتها الكلية والعقلية، والدولة هي الحياة الأخلاقية المتواجدة بالفعل، وقد تحققت، (وإن تحقيق الواجب يُصبح أمناً، وأن القوانين تُحترم طالما تتوافق مع الدين، فالإيمان الديني هو الإلزام المطلق الذي يحمي الأفراد والأسرة من الضياع والدمار)[21] .في هذه العبارات الأتية يمكننا أن نقدِم ختاماً أقرب إلى التكامل لإثبات المبحث السابق، وهي (معرفة الله في كل شيء فكرةٍ، والفكرةُ هي الحقيقة في الفكر، لأنها ليست حدس، والحقيقة في الفكر هو العياني) [22] . والعياني هو الواقعي والموجود، وليس المحسوس، التي يُلخصها هيجل بالقول (إن الفلسفة الناقصة تُبعدنا عن الله، وأن فلسفة الحق تقود إلى طريق الله، وكذلك الشأن مع الدولة)[23].

المبحث الخامس ـ قياس النظرية على ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ:

في هذا المبحث تحديداً سيعتمد الباحث في كتابته بنسبة كبيرة علي ثقافته الإسلامية، ومدى المعلومات التي جمعها عن الأسس التي ترتكز عليها النظرية الهيجلية، ومحاولة ربطها بالتفسير الإسلامي للتاريخ، من خلال الألية التي اعتمد عليها المؤرخين والفلاسفة

المسلمين، في اعتماد الميكانزيم الأساسي في نظرية هيجل وهو استخدام الديالكتيك ، (الجدل) والتناقض في تفسير الأحداث المحركة للتاريخ الإنساني، والذي بدوره يؤدي إلى استخدام العقل للوصول إلى الحقيقة المجردة أو المُطلقة، كما ذكرها ((هيجل))، رغم أن المُطلق ليس متاحاً للبشر، فالمطلق هو الله.

وهنا يتبادر سؤال مهم يبحث عن إجابة لهذا المبحث مفاده : السؤال التالي : هل يمكن تطبيق القواعد الجدلية التي اقترحها هيجل باعتبارها أداة لفهم وتفسير التاريخ؟[24] .

ـ بداية يقول - سبحانه وتعالى- في محكم كتابه : (**إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**)[25] كذلك أول سورة نزلت في القرآن هي سورة (العلق)، يقول- سبحانه وتعالـــــى - : (**اقـــرأ**)، وهو يدعو ويحث على طلب العلم واستخدام العقل، وهو مطلب أساسي في الدين الإسلامي، حيث يُشير القرآن صراحة إلى موضوع الجدل حتى في الكلام المنزل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حكيم، وذلك في الآية (**وَ جَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــــنْ**) [26] ، كذلك قوله – تعالى- : (**أَفَلَا تَعْقِلُونْ**) [27] (**أَفَلَا تَتَدَبَرُونْ**))[28] (**أَفَلَا تَتَفَكَرُونْ**) [29] - سبحانه وتعالى - يحث على التدبر والتفكر، لهذا مبدئياً، نظرية ((هيجل)) لا تتعارض والإسلام.

ـ الفكرة الجوهرية التي تتملك هيجل ، تتمثل في أن العالم انطلق من الشرق الغرب، وأن التاريخ بدأ في آسيا وهي مهد الشرق، ... إلـــــــخ،[30] ، وهي رؤية متوافقة مع الدراسات، والرسالات السماوية التي كان موطنها الشرق.

إن العقل والدين واحد عند هيجل، والدين هو الدولة، وهذا يتفق مع التفسير الإسلامي، لأنه منهج حياة، عقلي، اجتماعي، سياسي، ديني، أخلاقي، وهي نقطة جوهرية وأساسية في نظرية العقل التاريخي تمثلت واقعاً.

ـ يمكن القول أن الفاصل بين فلسفة التاريخ عند ابن خلدون وهيجل هو الواقع المتحرك، أي :ديناميكية التاريخ لكن الفرق بينهما أن فلسفة هيجل متفائلة، لأنها مرتبطة بالمستقبل، أما ابن خلدون لم ينظر للمستقبل لسبب واحد ، هو البحث فيما هو كائن.

إن ابن خلدون لم يكن صاحب نظرة قومية متعصبة مثل هيجل ، الذي يقول أن التاريخ بدأ من الشرق، وسينتهي في الغرب، أما ابن خلدون نظر إلى التاريخ نظرة عالم مسلم، يُدرك أن التاريخ مسرح الشعوب وأن الأيام دول كما ذكرها القرآن الكريم. هيجل يُنهي التاريخ عند الشعوب الجرمانية، وهذه النقطة تحديداً تنفي ما تطرق له من أن التاريخ متحرك، أما ابن خلدون يترك التاريخ مفتوحاً. فـهيجل يبحث عن الحقيقة المطلقة ويريد

أن يحتفظ بهذا لنفسه ، أي : لشعبه وقومتيه أما ابن خلدون فهو يبحث عن حقيقة يريد أن يُشيعها بين الناس من خلال دراسته لظواهر وأسباب قيام الملك وانهياره بالعموم ، لكن يتوافق كل منهما في معاناة البحث عن الحقيقة، وفهـــم التاريخ بالمنهج الديالكتيكي [31] ، كذلك المُطلع على كتابات البيروني، خاصة عن الهند، يجد أن كتاباته ارتكزت على الموضوعية والإخلاص للحقيقة، ويزن الأحداث والوقائع بميزان عقله، بمنأى عن الدين أو العرق [32] .

يذكر بعض الفلاسفة ومنهم أبو يعرب المرزوقى في كتابه : منزلة الإسلام في فلسفة الدين الهيجلية ، أن أحكامه جاءت مسبقة ضد الشرق، وكذلك محمد عثمان الخشت) الذي شُغل بقضية الدين عند هيجل ، متسائلاً عن سر تناقض هيجل حين وضع المسيحية كحد نهائي مكتمل لتطـــور الروح الديني، مع أن نسقه بحكم منهجه الجدلـــي ، كان ينبغي أن يظل مفتوحاً، في هذه الجدلية يمكن القول أننا يجب أن لا نخلط بين هيجل الإنسان المسيحي المتعصب لمسيحتيه ، وبين النظرية، فالنظرية، قابلة للتطبيق على جميع الديانات السماوية ، لأن أساسها العقل، وسيادة القانون، وغايتها الحرية للبشرية، ويمكن تطبيقها في هذا العصر، لأن العقل هو الأساس للوجود البشري عامة[33].

المبحث السادس ـ الرؤية الموضوعية لمفهوم الإسلام عند هيجل:

في عالمنا يتزاحم حضاريان حيويان منذ فترة طويلة، وهما الغرب المسيحي والإسلام ، وهما لا يلتقيان، إلا لقاء للنقيض [34] ، وفي هذا المبحث ستقوم الباحثة بمحاولة المقاربة بين هذين الضدين من خلال النظرة الموضوعية لهيجل عن الإسلام، رغم أنها تضم تناقضات عدة ، تأثرت بالتفكير العنصري، الذي زاد تأصلاً في الغرب منذ ظهور فلسفة عصر التنوير.

تعددت إشارات هيجل إلى الإسلام، لكنه كان بالنسبة إليه على هامش الأديان[35]، وهذا لعدة اعتبارات، منها النظرة العنصرية، أو التعصب الأوروبي للمسيحية، تلك الفترة، كذلك قراءات الفلاسفة المسلمين لأفكار هيجل حول الإسلام، وتذكر فنثورا أن استيفائهم للمعلومات من محاضراته في فلسفة الدين فقط دون الأخذ بمعارفه الأخرى، التي زادت حول الإسلام والمسلمين في محاضراته اللاحقة، ومنها محاضرات 1824 _ 1827 م [36]. والتي يشير فيها بوضوح (أن الإسلام لم يكن يشبه الهندوسية، ولا كان يسعى إلى الانغماس في المطلق ضد الرهينة، وأن الموضوع المتعلق بالعبادة في الإسلام عقلاني محض، وليس خيالياً أو وهمياً، كما يعمل الإسلام على إلغاء جميع

القيود والتكتلات واختلافات الطبقية، ولا يقوم بتفضيل قوم على قوم، والمعيار الوحيد في التفاضل هو التقوى، ويستطرد في القول، أن الأفضل والأسمى في الدين الإسلامي هو التضحية بالنفس من أجل الحفاظ على الإيمان أو الاستشهاد من أجله في الحرب، وبذلك يمكن للشهيد أن يضمن الجنة) (37) من خلال هذه الرؤية الإيجابية المقتضية، التي تناولها هيجل ، والملاحظ :

1- أنه قد طرح موضوع الإسلام طرحاً موضوعياً وعقلانياً.

2- يذكر أغلب الفلاسفة المسلمين، أنه لم يكن منصفاً في تناوله للإسلام والباحث لا يتوافــق في رؤيته مع هذا الرأي ، حيث تبين للباحث من خلال التقصي، وجود رؤية إيجابية لهيجل، وهو ما يُعد إنصافاً للإسلام، لكن بعض الفلسفة نسوا، أو تناسوا، أن الحيادية غير موجودة بالمطلق لدى أي باحث أو فيلسوف، وأن هيجل، أن بيئته المسيحية المتعصبة وأن تلك الفترة اتسمت بالفكر التنويري، الذي ينادي بفصل الدين عن الدولة، ومناوأة الأديان، وأن النظرة المسبقة للإسلام كانت غير حيادية، في الوسط الذي عاش فيه، وأنها متجذرة في التاريخ الأوروبي. ويتسأل الباحث :

ما المطلوب من هيجل حتى تكون نظرته للإسلام، نظرة منصفة، إذا ما أخذنا في الاعتبار، وجود فلاسفة عرب ومسلمين لم يكونوا منصفين بصورة مثلى للإسلام، من خلال دراسة وتحليل المنظومة الفكرية لهيجل حول الشرق بصورة عامة، والدين الإسلامي بصفة خاصة، ونجد أنه لم يفرق أو يفصل بين الدين الإسلامي والمسلمين في بعض الأحيان، فيقول: إن عزور المسلمين وتكبرهم في نهاية المطاف، قد اضطرهم إلى التخلي عن المناطق التي فتحوها في الغرب، والانسحاب إلى المناطق الأسيوية والأفريقية حتى انتهى بهم المأل إلى الخروج من صفحة التاريخ (38).

هذه الكلمات بها نسبة من الصحة، فالمسلمين بضعفهم وتهاونهم قد خرجوا من المناطق التي فتحوها، بعد قرون، ولكن نقطة الخروج من التاريخ فإن هيجل حسب الأسس التي وضعها، فإن التاريخ يقف عند الجرمان لهذا يقف عند هذا الحد. وتطرق هيجل إلى أركان الإسلام بصورة سريعة، توضح لنا عدم إلمامه الواضح لهذه الشعائر، وحصر فريضة الصيام، في تخلي المسلم عن الشعور بالوجود الذاتي والخاص، وحصر الزكاة والصدقات في التخلي عند مبدأ التملك الذاتي والخاص – أيضاً- (39) .

وفي رأي الباحثة ، فإن سبب عدم تعمق هيجل في دراسة الإسلام، مرده إلى أن الاستشراق لم يأخذ الحيز الذي نراه الآن، من الكم الهائل في الدراسات الإسلامية وتفسير القرآن ، ويذكر هيجل أن الله غير محدد، ولا يمكن معرفته، وهو عقلي خالص

ومنفصل بشكل كامل على النهائي(40).

الخاتمة:

من خلال دراسة وتحليل المنظومة الفكرية لـ: هيجل، فقد كان التأمل النقدي هو الأساس في تراث الفيلسوف، والذي يساعد بدرجة كبيرة في فهم النظرية التي أسس لها، ويمكن القول أن فلسفة هيجل شكلت تحدياً للمفكرين و الفلاسفة، ومن أبرز هذه التحديات غموض أفكاره ، التي تحتاج لدراسات وقراءات لفهمها.

ولوحظ أن آرائه قد بلغت حداً كثيراً من التشويش والغموض حول الإسلام، حيث يتصور القارئ في بادئ الأمر أن آرائه في دراسته للدّين الإسلامي ، تخالف المنهج الفكري الذي اعتمده ، ولكن عند دراسة هذه الآراء ، نجد أنه فقط فصل بين الإسلام كدين والمسلمين كبشر، قابلين للخطأ والصواب ، كما أن القارئ لأفكار هيجل حول الإسلام تتجلى أمامه صورتين أساسيين هما:

ـ الصورة الإيجابية لهيجل الفيلسوف المتحرر.

ـ الصورة السلبية لهيجل المتعصب للمسيحية وهي الأكثر حضوراً في دراساته عن الإسلام والمسلمين، رغم أن هذا لا ينفي الموضوعية في فكره ودراساته بالعموم ، كما يُعد فكر هيجل موضع تقدير من الفلاســفة العرب والمسلمين لثقافته التحررية النقدية ، وتناوله التاريخ البشري من زاوية عقلانية.

الهوامـــــــــــش :

[1]- جورج ويلهلم هيجل، ((جي دبليو هيجل))، المعرفة،25/ 12/ 2020 م.
https://m.marefa.org.

[2] رأفت الشيخ ((في فلسفة التاريخ)) ط 1، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996 م، ص. 143.

3ـ عبدالله أبوقرن الآخر في جدلية التاريخ عند هيجل))، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة منتورى، قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، 2006، 2007، ص 161.

4ـ جاك فوكس، ((فهم هيغل للتاريخ))، ترجمة: محمد كريم، 2/ 1/ 2021 م. https://mana.net.

5ـ المرجع السابق.

6ـ المرجع السابق.

7ـ عبدالله أبوقرن، مرجع سابق، ص 161.

8- إيهاب عبدالهادى الخولى، ((فينو مينولوجيا الدين والعقل عند هيجل))، كلية الحقوق للدراسات العليا، جامعة المنوفية، ص 73، 2020 م. http://jeslem.journals.ekb.eg.
9- جوني مايبى، ((ديالكتيك هيجل))، أو الجدلية الهيجلية، موسوعة ستاتفورد للحكمة، مجلة حكمة، 13/ 9/ 2019 م. . https://hekmah.org.w
10- المرجع السابق.
11- عبدالله أبوقرن، مرجع سابق، ص 147.
12- المرجع السابق، ص 161.
13- عبدالله أبوقرن، مرجع سابق، ص 171.
14- الفلسفة المثالية عند هيجل، . https://cte.univ_setif2.dz
15- إيهاب الهادى الخولى، مرجع سابق، ص 8.
16- المرجع السابق، ص 8.
17- ((فلسفة الدين عند هيجل)) https://m.facebook.com.leagal philosophy.
18- إيهاب عبدالهادي الخولى، مرجع سابق، ص 11.
19- إيهاب عبدالهادي الخولى، مرجع سابق، ص 12.
20- المرجع السابق نفسه، ص 12.
21- الدين والألوهية في فلسفة هيجل، مرجع سابق.
22- إيهاب عبدالهادي الخولى، مرجع سابق، ص 13.
23- فؤاد مرسى، ((الدولة عند هيجل)) الفكر المعاصر، العدد: 67، ص 52، 1/ 9/ 1970 م. . https://archive.alsharekh.org
24- أحمد عطية، ((نحن وهيجل، الدين والثورة))، ص 10، 2019 م. https://www.Academia.edu.
25- سورة فاطر، الآية، 28.
26- سورة النحل، الآية، 125.
27- سورة البقرة، الآية، 44.
28- سورة الأنعام، الآية، 50.
29- سورة الأنعام، الآية، 50.
30- تمام طعمة، تلخيص كتاب ((العقل في التاريخ))، 11/ 4/ 2022 م، . https://mawdoo3.com
31- قادة جليد، ((نهاية التاريخ بين ابن خلدون وهيجل))قضايا،1/ 11/ 2017 م. . https://www.alm.tnagaf.com
32- عبدالله أبوقرن، مرجع سابق، ص 395.
33- أحمد عطية، مرجع سابق، ص 10.
34- أحمد عطية، (هيجل والإسلام) قراءة في أعمال لوريلافنتورا، 2/ 7/ 2022 م. https://www.Academia.edu.ly

35- محمد عثمان الخشت،((نقد صورة الإسلام عند هيجل)) فصلية الاستغراب، العدد العاشر، ص 255، 2018 م.
36- أحمد عطية، مرجع سابق.
37- نقد الفصام الفلسفي، (صورة الإسلام عند هيجل)، 24/ 6/ 2022 م.
https://search.mandumah.com
38- نقد الفصام الفلسفي، مرجع سابق.
39- محمود كشانه، اللا هوت الإقصائي، ((نقد تجربة هيجل الدينية حول الإسلام، الاستغراب العدد 22، المركز الإسلامي لدراسات الاستراتيجية، 2021 م)).
40- أحمد عطية، مرجع سابق.